

التبيان في تفسير القرآن

(118) وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين) (25) خمس آيات بلا خلاف. هذا حكاية من القرآن من الكفار في الآخرة بعد ما شهدت عليهم ابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون من المعاصي في دار الدنيا أنهم يقولون (جلودهم لم شهدت علينا) منكرين عليهم إقامة تلك الشهادة. وقيل: اشتقاق الجلد من التقوية من قولهم: فلان يتجلد على كذا، وهو جلد أي قوي، فتقول جلودهم في الجواب عن ذلك (أنا نطقنا القرآن الذي أنطق كل شيء) فالانطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالالقاء إلى النطق أو الدعاء إليه. فهؤلاء يلجئهم القرآن إلى أن ينطقوا بالشهادة. والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام، ولذلك لا يوصف تعالى بأنه ناطق، وإن وصف بأنه متكلم. ومعنى (أنا نطق كل شيء) أي كل شيء لا يمتنع منه النطق كالأعراض والموت، والفائدة في الأخبار عنهم بذلك التحذير من مثل حالهم في ما ينزل بهم من الفضيحة بشهادة جوارحهم عليهم بما كانوا يعملون من الفواحش. فلم يكن عندهم في ذلك أكثر من هذا القول الذي لا ينفعهم وقال قوم: إن الجوارح تشهد عليهم حين يجحدون ما كان منهم. وقوله (وهو خلقكم أول مرة) أخبار منه تعالى وخطاب لخلقه بأنه الذي خلقهم في الابتداء (واليه ترجعون) في الآخرة إلى حيث لا يملك أحد النهي والامر سواه. وقوله (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) قال مجاهد (وما كنتم تستترون) أي تتقون. وقال السدي: معناه لم تكونوا في دار الدنيا تستخفون عن معاصي القرآن بتركها. وقيل: إن الآية نزلت في ثلاثة